مَوْسُوعَةُ

فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة النازعات

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة النازعات

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا
۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩
يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا
هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

ابتدأت سورة النازعات بالقسم بخمسة مقسومات، لإثبات وتقرير ما بعدها، وقد ورد بيانها بصيغة الجمع، الذي يدل على كثرة وتعدد الأداء من كل مقسوم به. كما تعددت الأقوال في معانيها ودلالاتها. فقال تعالى ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ أي: والملائكة التي اتصفت بنزع أرواح العباد ﴿غَرۡقٗا﴾ أي: إغراقاً، ببلوغ كمال الغاية والمدى، التي تستوفي كمال نزع الأرواح. لإفادة المبالغة في النزع. وقد اختلف أهل العلم في دلالتها، لأن النزع هو صفة لأشياء متعددة، ومنها نزع الملائكة للأرواح. فقيل: الملائكة تنزع الأرواح، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل: الموت وهو ينزع النفوس. وقيل: هي النفس حين تنزع، وقيل: النجوم، وهي تنزع من أفق إلى أفق. فتطلع وتغيب. وقيل: أنها الرماة عند الرمي بالقوس. وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: والصواب من القول في ذلك. عندي، أن يُقال: إن الله تعالى أقسم بالنازعات غرقاً، ولم يخصص نازعة دون نازعة. فكل نازعة غرقا فداخلة في قَسَمِه: ملكاً كان، أو موتاً، أو نجماً، أو قوساً، أو غير ذلك. والمعنى: والنازعات غرقا، كما يغرق النازع في القوس[١] وهذا من قوة بلاغة البيان الكريم الذين استوفى جميع تلك الدلالات، فأقسم بكل نازعة، وعلى رأسهم الملائكة في نزعها للأرواح.

والقسم الثاني: قوله تعالى ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ أي: الملائكة وهي تقبض الأرواح، فتنشط نفس المؤمن فتقبضها. فتنقلها من موضعها. وقيل: الموت. وقيل: النجوم. وينطبق على دلالتها ما ينطبق على القسم الأول، بأنها تستوفي كل ناشطة تنشط من موضع إلى موضع. ثم تلاها القسم الثالث: فقال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٥٧-٥٩)

سَبۡحٗا ﴾ أي: الملائكة، وقيل الموت يسبح في نفس ابن آدم، وقيل: النجوم تسبح في فلكها، وقيل السفن تسبح في البحر. فتستوفي دلالتها كل سابحة. فأقسم الله تعالى بكل سابحة. ثم تلاها القسم الرابع. فقال تعالى ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴾ قيل: الملائكة. وقيل: الموت. وقيل: الخيل السابقة، وقيل: النجوم يسبق بعضها بعضا في السير. فاستوفت دلالتها كل من حملت دلالة السبق، وهذا من بلاغة السياق في استيعابه لجميع من يمكن فيه السبق. ثم تلاها القسم الخامس: ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ وهي الملائكة المدبرة لما أُمِرَت به من أمر الله تعالى. في شأن قبض الأرواح، وفي شأن الرياح، وبالقطر وغيرها، فإن لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالله عَزَّ وجل. وأما جواب القسم فقيل أنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴾ وقيل: أنه مُضمر، تقديره: لَتُبعَثُنَّ، ولَتُحَاسَبُنَّ. بدليل قوله تعالى ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴾ قاله الفراء(١) بما يبين سعة الدلالة التي أفادها السياق الكريم.

ثم ينتقل البيان الكريم إلى أحوال يوم القيامة، فقال عَزَّ وجل ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ أي: يوم تحدث الصيحة العظيمة، للنفخة الأولى، حين ترجف الأرض والجبال، باهتزازها وعدم استقرارها. والرجفة: هي الحركة والاضطراب. وهي النفخة الأولى، التي تموت منها جميع الخلائق. ثم ﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ التي هي النفخة الثانية. وسُمِّيت بالرادفة، لأنها رديفة الأولى، إذ تأتي بعدها. لأن الرديف من يأتي بعد الذي قبله.

فالنفخة الأولى يصعق ويموت جميع من في السماوات والأرض إلا من استثناهم الله تعالى، كما جاء في سورة الزمر، قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي: من ثبته الله تعالى عند النفخة الأولى، فلم يصعق، فيبقى على ما هو عليه من الحياة. قيل إنهم: جبريل وميكائيل، وإسرافيل، ومَلَك الموت(٢) إذ ينفخ الْمَلَك إسرافيل في الصور النفخة الأولى. وهو قرن عظيم، فينفخ نفخة واحدة. بما يدل على قوة النفخة وكفايتها، فلا يحتاج إلى أن يكررها. ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ ﴾ كما ورد ذلك أيضاً في سورة الزمر. وهي النفخة الثانية، نفخة البعث ﴿ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ فيقومون من قبورهم لحسابهم، وهم في كامل صورتهم التي كانوا عليها قبل الموت، حيث يُعيد الله تعالى أجسامهم، وأرواحهم، فإذا بهم يشاهدون مشهد يوم القيامة، الذي هو يوم البعث والنشور والحساب، ليأخذ كل أحد من العباد جزاءه الذي يستحقه من خير أو عذاب.

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (١٧٢/٨)

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٥٤/٢٠)

ثم يخبر الله تعالى بحال القلوب ﴿ قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴾ أي: شديدة الاضطراب والفزع لِمَا يرون من أهوال يوم القيامة ﴿ أَبۡصَـٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴾ أي: منكسرة، لما أصابها من الذل بسبب الرهبة والخوف الذي حل بها، مما ترى من الأهوال المفجعة. مما يبين ويفيد عظمة أحداث يوم القيامة.

ثم يخبر الله تعالى بحال المكذبين عندما كان يُقال لهم عن شأن يوم القيامة، فينكرون ويسخرون. فقال تعالى عنهم ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴾ أي: أيعقل أن نُرَد إلى أول حالنا، وابتداء أمرنا بعد هلاكنا وفنائنا بالموت. وقد كان المنكرون للبعث يقولون ذلك بصيغة السؤال الذي يحمل معنى الاستبعاد له، والاستهزاء بمن يعتقد بالبعث بعد الموت ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴾ أي: أيعقل أن نُرَد إلى أول حالنا، وابتداء أمرنا، فنصبح ونصير أحياء بعد موتنا. والحافر عند العرب، اسم لأول الشيء، وابتداء الأمر، ومنه قولهم: رجع فلان على حافرته. أي: على الطريق الذي جاء منه. ويُقال: اقتتل القوم عند الحافرة. أي: عند أول اللقاء. وحافرة بمعنى محفورة[١] فهو استبعاد وإنكار منهم للبعث بعد الموت.

ويقولون: بطريقة السؤال الذي يستبعدون به البعث ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴾ أيعقل بأنه إذا أصبحت عظامنا بالية ﴿ نَّخِرَةٗ ﴾ أي: تشققت، فتقادمت، وبليت. وهو سؤال تعجب، يفيد الاستغراب. لأنهم لم يفكروا في قدرة الله تعالى الذي خلق الكون، والذي يُميت الأرض ثم يحييها، والذي خلق الإنسان من نطفة، فإذا به إنسان في أكمل وأحسن تقويم. فقصروا فهمهم على ما يدور في خواطرهم دون استفادتهم من قياس الغيب على كمال قدرة الله تعالى المبثوثة في الكون وفي أنفسهم. مما يبين أن كل شيء يدل على عظمة الخالق، وكمال قدرته، وأن من عَطَّل فهمه بالقياس من الشواهد فقد تاه عن الحق. وبما يفيد ويدل على أهمية التفكر والتمعن في الشواهد والأدلة الكونية، والأدلة من الكتاب والسنة.

وهنا رتبوا على ذلك الاعتقاد والقول الجاهل جهلاً هو أعظم منه ﴿ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴾ فإن رجعنا إلى الحياة بعد موتنا فإنها إعادة خاسرة، فإن أهلها خاسرون، أي: ليست العودة بكائنة، وإن عدنا كما قال محمد صلى الله عليه وسلم فسنكون في خسارة بتلك الرجعة، لأننا به كافرون غير مصدقون. أي: إن سلمنا بالرجوع بعد الموت فإننا نكن من الخاسرين، على سبيل الاستبعاد القطعي، كما سولت لهم نفوسهم الفاسدة. مما يبين قوة كفرهم، وتحديهم. وعدم التأمل في آيات الله تعالى الكونية، وفي أنفسهم، وفيما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن والهدى والحق.

---

(١) الشوكاني، فتح القدير (٣٧٤/٥)

ثم يرد عليهم تبارك وتعالى فيما استبعدوه من البعث بعد الموت، وبالأسلوب الذي يحمل السرعة والمفاجأة. فقال تعالى ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ فإن الرجعة بالبعث بعد الموت لا تعدو إلا أن تكون صيحة واحدة، بالنفخ في الصور النفخة الثانية، فيعود جميع الخلق كما كانوا ﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ فإذا بهم فجأة ﴿ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ أي: على وجه الأرض. والعرب تُسمّي الفلاة، ووجه الأرض ساهرة[1] بما يفيد: السرعة والمفاجأة بين موت الإنسان، وبين النفخة الثانية، التي يبعث الله تعالى بها الناس يوم القيامة. حيث أفادت ﴿ فَإِذَا ﴾ السرعة مع المفاجأة. وفي هذا تعليم وإنذار لهم مما هم فيه من إنكار البعث. ولكن المتمادي في الكفر حتى أوغر فيه مع الاستكبار، فإنه لا يتعظ ولا يعتبر. وفي هذا عظيم الوعظ والتعليم من الله تعالى لعباده، وبأيسر ما يكون التعليم. فالحمد لله تعالى على نعمة القرآن العظيم، ونعمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي حمل وبلغ الرسالة بأكمل ما يكون.

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) ﴾

ثم يستمر الوعظ للكفرة المنكرين ليوم القيامة، بما كان من شأن موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون المتغطرس المتعالي، وما نال المكذبين من العذاب بالغرق. فقال تعالى موجهاً الخطاب لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ هل وصلك خبر موسى عليه الصلاة والسلام؟ استفهام تقريري لما كان من شأن رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون وجنوده. والله تعالى يعلم إن كان رسوله محمد صلى الله يعلم بخبره أو لا يعلمه. وإنما العبرة في استثارة أذهانهم بهذا السؤال. مما يبين أن في السؤال مراداً وغاية عظيمة، وهو إعلام المكذبين والمنكرين لنبوته صلى الله عليه وسلم بأنه كان من قبلهم فرعون، الذي هو أكثر منهم قوة، ومع ذلك فقد أخذه الله تعالى بالغرق هو وجنوده. فلكم فيه عبرة، فاتعظوا وأطيعوا. وفيه تقوية للرسول عليه الصلاة والسلام بما واجه الرُّسُل من قبل، ومنهم موسى عليه الصلاة والسلام.

وهنا لم يكن جواباً منتظراً من الرسول صلى الله عليه وسلم، بل أورد تبارك وتعالى مباشرة طرفاً من قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون، ليتبين أن المراد من السؤال هو التنبيه والتحذير. فقال تعالى

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٧٤)

﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ حين ناده ربه سبحانه وتعالى، مكلماً له، أي: منادياً لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ أي: في الوادي الْمُسَمَّى طوى. وطوى: اسم للبقعة التي يمثلها الوادي المبارك بكاملها، إذ جاء الوصف بالتقديس له كاملاً، بقوله عَزَّ وجل ﴿بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ فقد تقدس هذا الوادي بكلام الله تعالى لعبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام. حيث ﴿نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ والنداء يفيد بأن الله تعالى خاطب موسى عليه الصلاة والسلام باسمه، في ذلك الوادي المقدس. وبصيغة النداء. يا موسى. كما ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومن ذلك ما ورد في سورة الأعراف ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ فلقد اصطفاه سبحانه وتعالى بتخصيصه واختياره من بين غيره من الناس برسالته سبحانه وتعالى.

ومن الفوائد أن الذي قدس الوادي هو الله تعالى بكلامه لموسى في هذا المكان. ومما يفيد كذلك أن تقديس المكان هو لله تعالى، فليس لأحد أن يقدس مكاناً ويعظمه إلا ما قدسه الله تبارك وتعالى، وفيه تفاضل الأمكنة عن بعضها البعض بما فضلها الله تعالى به من الدرجات. كما أن في كلام الله تعالى لموسى عليه السلام، إثبات الكلام لله تعالى، ودليل على مباشرة الله تعالى للكلام متى شاء بما شاء، ولمن يشاء أن يخاطبه، وأنه كلَّم من اصطفاه من عباده. وفي ذلك بيان لمكانة ومنزلة موسى عليه الصلاة والسلام، وأنه كليم الله تعالى. وهي نعمة جليلة، وميزة كبيرة وكريمة، ومنزلة وحفاوة عظيمة أن يكلمه اللهُ تبارك وتعالى. ومن فوائد دقائق كلام رب العالمين أن دلالة ﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ تفيد تكرار البركة، وهي من القُدس الذي يعني الطهارة والنزاهة. وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: والمعنى: الْمُقَدَّس مرة بعد مرة، كما قال عدي بن زيد[١] وقال مجاهد رحمه الله تعالى: قُدِّس، بورك مرتين[٢] مما يبين مقدار التفاضل. ومن ذلك درجات التفاضل كفضل الصلاة في المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى. ومشاعر الحج، وفضل المساجد على غيرها من بقاع الأرض.

ثم يخبر الله تعالى بما وجَّه به موسى عليه الصلاة والسلام عندما ناداه بالوادي المقدس طوى. فقال عَزَّ وجل ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: اذهب إلى فرعون بالآيات والحجج، ثم ذكر سبحانه وتعالى

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (١٩١/٥)

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/١٦)

علة وسبب ذهابه له ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ فقد عصى وتكبر، وكفر وتجبر، وتجاوز الحد، فقد أفرط في تكبره واستعلائه، وكان فرعون هو ملك القبط بمصر.

ثم تدرج البيان في إظهار ما أمره الله سبحانه وتعالى به، وهو ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ فقل لفرعون: هل لك في أن تتطهر مما أنت فيه من ادعاءك الربوبية والألوهية، لأنه كان يقول لهم كما ورد في هذه السورة الكريمة ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يبدأ بالسؤال، الذي مفاده الإرشاد بأسلوب العرض. وهو من الحكمة في الدعوة، بما يُعَلِّم المؤمنين كيف يخاطبون من كان متعالياً، لأن القصد والثمرة التي هي جذبه لدين الله تعالى. فاقتضى المقام ذلك المقصد في اختيار الأسلوب الأنسب له. مما يبين أن للهدف والغاية أثر في اختيار الأسلوب. كما كان عليه الصلاة والسلام في خطاباته للملوك. ففي أحدها (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى عظيم الروم)[١] مما يبين ويعلم أهمية الحكمة في التخاطب للداعية، والناصح، والمرشد للخير. وبالرغم من أن مع موسى حصانة من الله تعالى من أن يصيبه أي أذى من فرعون وغيره، إلا أن الله تعالى أمره بأن يخاطبه بأحسن الخطاب.

ثم تلى مطلع ذلك العرض، التدرج في بيان ما عنده عليه الصلاة والسلام من النصح. فإن وافقت على ذلك فأنصحك وأدلك على ما تُرضي به ربك سبحانه وتعالى ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ فأرشدك إلى منهج الطاعة لربك ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ أي: لتتحقق منك الخشية لربك عَزَّ وجل. وقد اقتصر هنا على الخشية فقط، لأن الخشية جامعة للهدى، إذ أنها تجمع الخوف والرهبة من العبد لله تعالى، والتي من فضائلها الطاعة والامتثال. فأرشد وأمر تبارك وتعالى رسوله موسى عليه الصلاة والسلام بأدق الدلالات المحققة لكمال المقصد العظيم. وقصر الهداية والدلالة للرب سبحانه وتعالى ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ فاختار جانب الربوبية، فالرب هو المالك، والخالق، والمطاع، والمعبود، والمصلح، والرازق. فَعَرَّفَهُ بالحقيقة في مقصدين فقط: الأول: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وهي الدلالة الإرشادية من موسى عليه السلام لفرعون. والثاني: كائنة من فرعون بالقبول، وجني الفائدة، وهي ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ فتخاف ربك وتتقيه. وهو أسلوب ومقصد في غاية العظمة من كل وجه. مما يبين حكمة الله تعالى في توجيهه للمرسلين، وهو الذي له كمال القوة والقدرة والسلطان والقهر. مما يبين ويعلم الإنسان ألا يجعل قوته هي الأسلوب في التعامل، بل الرحمة والحكمة هي أساس ومنبع التعامل. كما قال الله تعالى لموسى

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، برقم (٦٢٦٠)

عليه السلام في سورة طه ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ أي: قولاً لطيفاً ليناً ورفيقاً. ولذلك عندما قال جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم إن ملك الجبال يستأذنك في أن يطبق عليهم الأخشبين، قال له عليه الصلاة والسلام (بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك به شيئاً)[١] فلم يكن الهدف هو الانتصار عليهم، بل كان الهدف هو تحقيق الكثرة ممن يعبد الله تعالى. مما يبين أهمية أثر صحة وسلامة الهدف على الفعل والأسلوب والقرار في جميع شؤون الإنسان، فإن للهدف الأثر العظيم في اختيار الأسلوب الأنسب والأكمل لتحقيقه.

ثم يخبر الله تبارك وتعالى بما كان من موسى عليه الصلاة والسلام، من إظهار الحجج والآيات التي تُثبت أنه رسول من الله سبحانه وتعالى، فقال عَزَّ وجل عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ أي: فذهب إليه ودعاه وأراه الآية الكبرى، أي: المعجزة. وقد أعطى الله تعالى رسوله موسى عليه الصلاة والسلام معجزات عظيمة، منها: العصا التي تتحول إلى حية تسعى، ويده التي تتلألأ بياضاً إذا أدخلها وأخرجها من جيبه.

ثم يخبر الله تبارك وتعالى بما كان من جواب فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام. فقال عَزَّ وجل عن حال فرعون ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ فقد كذَّب فرعون بجميع الآيات الكبرى التي رآها عياناً فجحدها، وامتنع عن التصديق والإيمان بها، واختار الكفر لنفسه، وذلك بغياً وعناداً. وقد وردت جملة ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ بقوة من البيان والتصوير لِمَا كان من فرعون تجاه آيات الله تعالى، فقد استيقنها تماماً، فكان مدركاً لصحتها وحقيقتها، وما دلت عليه من الحق، بدليل أن وصفه الله تعالى بالمكذب والعاصي ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾ لأن التكذيب والعصيان لا يكون إلا ممن عرف الحق وأنكره، ولذلك تم وصفه هنا بالعصيان والكذب، الذي يعني الامتناع. فهو كاذب فاجر، يعرف الحق ولا يأتيه، ولا يعترف به، بل إنه في عصيان وصدود، إذ امتلأت نفسه بالكبرياء والطغيان، وفي هذه الصفة: ذم وعار تشنيع قد لحق به، إضافة إلى خروجه عن صفة أولي النهى. فإن أولي النهى هم الذين تنتهي بهم عقولهم إلى قبول الحق، والسير في ركابه. خاصة وأن الأمر متعلق بواقعه ومستقبله الأبدي. مع قوة الحجج، وإدراكه أن موسى عليه الصلاة والسلام رسول من الله تعالى إليه. فصفة الكذب التي وُصِفَ بها تبين أنه أدرك الحق وكذبه، ولم يصدقه.

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، برقم (٣٢٣١)

ثم يخبر الله تعالى عن سرعة تصديه لآيات الله تعالى الكبرى، حتى لا تشيع بين الناس، فأراد إبطالها، وإعلان التمرد والطغيان عليها. فقال الله تعالى عنه ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ ثم بعد أن سمع ورأى الآيات الكبرى أدبر عن الإيمان، مستكبراً. بل تم وصف إدباره بصفة السعي ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ بما يفيد شدة المشي والسير والتوغل في النكران، متجهاً للفساد والإفساد، مما يبين أن الذي منعه هو الاستكبار، أي: أنه عرف الحق على حقيقته، وأيقن به علم اليقين، ولكن حال بينه وبين الإيمان والتصديق به هو الاستكبار. مما يبين خطورة الاستكبار في جميع مناحي الحياة، فإذا كان الاستكبار قد منعه من الإيمان، فكيف بأثر الاستكبار على ما هو دون الإيمان. وإذا كان الاستكبار يُدخله النار، ويصرفه عن الجنة، فكيف بأثره فيما هو دون ذلك. مما يبين ويفيد قوة التحذير من الله تعالى من أن يجعل العبد للاستكبار مكاناً في قلبه. فإن التكبر هو القوة التي تضع المتكبر في الحضيض، في أي شأن ومجال.

ثم أخذ فرعون في التمرد العملي ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ فجمع وحشد جنوده وأصحابه وأعوانه، وجمع الناس. والحشر هو الحشد، وقد وورد الحشر ﴿ فَحَشَرَ ﴾ عاماً، ليستوفي جميع من أرادهم ﴿ فَنَادَىٰ ﴾ فأعلن بصوت مرتفع، قائلاً لهم: بأنه هو ربهم الذي ليس فوقه رب ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فحصر الربوبية له، ونفى أن يكون هناك رب أعلى منه. بل وصف ربوبيته بالعلو، التي ليس فوقها رب سواه ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ليس هناك رب أعلى منه. مما يبين قوة التجبر، وقوة الطغيان والعناد. فقال سبحانه وتعالى، المنتقم الجبار ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ فانتقم الله تعالى منه بالقوة التي نَكَّلَت به ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ والنكال هو: الجزاء والعقوبة، المشتملة على الإذلال والتحقير، بما يجعله عبرة لغيره. فنكل الله تعالى به في الدنيا، كما نكل به في الآخرة بقوله عَزَّ وجل ﴿ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: عذاب الآخرة بالنار، وكذلك نكال الدنيا، الذي هو ﴿ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ فهو عذاب الدنيا بالغرق. ومن دقائق السياق الكريم أن قَدَّم أخذ فرعون في الآخرة على الدنيا. لإفادة التأكيد والتعظيم للأخذ في الآخرة، لأنه عذاب دائم. مما يبين دقة مقاصد البيان الكريم في التقديم والتأخير.

وأفادت دلالة الأخذ ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ ﴾ كمال التمكن، بما يفيد تمام السلطة والقدرة والقهر. ومن دقائق البيان أن أسند سبحانه وتعالى الأخذ له عَزَّ وجل ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ ﴾ لتعظيم وتهويل الأخذ، بأنه أخذ بعقوبة لا قِبَلَ له بها. أي: أخذه أخذة شديدة، بما يدل على كمال الاستئصال. ليخبر سبحانه وتعالى بعد ذلك بأن في

أخذه لفرعون بهذا العذاب الشديد عبرة وموعظة لغير ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ فإن في أخذنا لفرعون بالعذب عبرة واعظة ﴿ لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ لمن يخاف الله عَزَّ وجل، فيتعظ وينزجر. وفي هذا بيان للمشركين المكذبين ولغيرهم من أن ينالهم العذاب والتنكيل الشديد في الأولى وفي الآخرة. بل موعظة مستمرة إلى قيام الساعة.

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾

بعد تحذير المشركين بما كان منه سبحانه وتعالى في شأن إهلاك فرعون بالعذاب الدنيوي، وما يتبعه من عذاب الآخرة، ينتقل ويعود بهم البيان مرة أخرى إلى إثبات البعث الذي كان حديث السورة قبل قصة رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون، فقال الله تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾ هل أنتم أشد وأعظم في الخلق؟ أم أن السماء التي بنيناها هي الأشد والأعظم في الخلق؟ سؤال تقريري، يقرر به سبحانه وتعالى ما يجعلهم يدركون الحقائق بما يحيط بهم من عظمة خلق الله تعالى. وهو أيضاً سؤال يقودهم إلى إعادة التفكير وفق هذا السؤال العظيم، الذي ينقلهم بالمقارنة إلى إيصال أفهامهم إلى الحق الواضح المبين.

وقد تضمن السؤال بالمقارنة بين خلق الله تعالى لهم، وبين خلق الله عَزَّ وجل للسماء العظيمة في ارتفاعها وسمكها، ما يترتب وينتج عنه مقارنة أخرى، وهي: هل إعادة خلقكم أشد أو خلق السماء العظيمة فيما ترون من تماسكها من غير أعمدة ترونها؟ فيلجئهم إلى الإقرار بأن خلق السماء أعظم من خلق الإنسان، وأعظم من إعادته بعد موته وفنائه. لأنه ما من عاقل إلا ويرى أن خلق السماء أعظم من خلق الإنسان من كل وجه. لأن الله تعالى بخلقه للسماء أثبت كمال قدرته على كل ما يقول ويخبر به عَزَّ في علاه.

ومن دقائق البيان تعيينهم بالسؤال وبالمقارنة ﴿ ءَأَنتُمْ ﴾ أيها المنكرون للبعث أشد خلقاً أم أن السماء هي الأشد خلقاً؟ وهنا خصهم بالخلق دون غيرهم، لينحصر به التأمل بين أنفسهم وبين السماء، كما خصهم بالخلق، بينما نعت ووصف السماء بالبناء ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾ بما يلفت انتباههم إلى خلق السماء في صورة البناء العظيم في ارتفاعه. لأن البناء من صفة السماء، ولتشمل بهذا الوصف الارتفاع والعلو الذي هو من خصائص

البناء. قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: ومعنى ﴿بَنَىٰهَا﴾ رفعها. وكل شيء ارتفع فوق شيء فهو بناء[١] مما يبين دقة القرآن في اختيار الألفاظ، إلى درجة الإعجاز في بيانه وسياقه وبلاغته، ومضمون أدلته.

ثم استخدام اسم التفضيل ﴿أَشَدُّ﴾ الذي أفاد الارتقاء والتعالي والمفاضلة في الصعوبة. وجميع ذلك على الله تعالى يسير، ولكن فيما هو في تقدير الْمُخَاطَبين. فيخاطبهم الله تبارك وتعالى بما يناسبهم. مما يُعَلِّم المؤمن كيف يخاطب، وكيف يسيق أسلوبه مع غيره، وكيف يناقش المعارضين للحق. وكيف يشد انتباههم، وكيف يستخدم أسلوب المقارنة الذي يُظهر التفاوت الذي يرتقي بعقول الْمُخَاطَبين، ويقودهم إلى إعادة التفكير والتأمل.

ثم يرتقي الاحتجاج الكريم بالْمُخَاطَبين إلى شيء من تفاصيل عظمة السماء، وبأسلوب هو في غاية الدقة والاختصار، وعدم الإسهاب. فقال تعالى ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ فربكم قد رفع علوها الذي هو ﴿سَمْكَهَا﴾ وقد أوقع السياق الرفع على سمكها ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ الذي هو علوها وارتفاعها، فجعلها معتلية. وقد ذكر ابن عاشور رحمه الله تعالى: أن السمك هو الرفع في الفضاء، والرفع هو جعل الجسم معتلياً، وهو مرادف للسمك، للمبالغة في الرفع[٢] ثم عطف عليها التسوية ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فجعلها مستوية، من غير اعوجاج ولا خلل فيها، ولا تفاوت، ولا فطور ولا تشقق. بما يبين كمال خلقها في أحسن ما تكون عليه. فسبحان الله الخالق العظيم.

ثم تدرج البيان إلى ما هو متعلق بالسماء من النور والظلام. فقال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ فأظلم الله تعالى الليل في السماء، فجعل ليلها مظلماً، لأن الغطش يعني الظلمة. وفي المقابل ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ وأظهر نهارها بنور الشمس. ومن دقائق البيان أن نسب الليل والضحى للسماء، باعتبار أن الليل والضحى صادر من العلو، وكل شيء ارتفع فقد سما. فالشمس في السماء، وبغيابها يحصل الليل، وبظهورها يحصل النهار. وهذا من دقائق البيان في لفت الانتباه إلى دقة الكون، الذي خلقه العزيز الحكيم.

ومن دقائق البيان كذلك استخدام دلالة ﴿وَأَغْطَشَ﴾ الذي يدل على التحول من الوضوح إلى الظلام والعتمة. وكذلك ﴿وَأَخْرَجَ﴾ الذي يدل على البروز والظهور. ونسب ذلك الإغطاش والإخراج له

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (١٧٥/٨)
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٥٠/١٢)

تبارك وتعالى، بتكراره مع كل فعل ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ لبيان وإظهار كمال القدرة، مع الدقة في ذلك.

ثم تدرج البيان العظيم إلى ما يبين ويظهر عظمة الخالق تبارك وتعالى، بأنه يحيي الموتى، وذلك من خلال بيان عظيم خلقه للأرض. فقال عَزَّ وجل ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ والأرض بعد خلق السماء ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾ أي: بسطها، ويسَّر الانتفاع بها، فقال تعالى ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ أي: فأخرج ربكم لكم من الأرض ﴿ مَآءَهَا ﴾ بأن فجر فيها البحار، والأنهار، والعيون. وكذلك ﴿ وَمَرْعَىٰهَا ﴾ وهو جميع ما خلق الله فيها من النبات. فيشمل النبات الذي ترعاه البهائم، والنبات الذي يأكله الناس، من الشجر والعشب. قال الضحاك رحمه الله تعالى: ما خلق الله فيها من النبات[1] أي: عموم النبات، فجمعت دلالة ﴿ وَمَرْعَىٰهَا ﴾ جميع ما يأكله الناس وتأكل منه البهائم.

ثم تدرج البيان العظيم إلى شأن الجبال. فقال تعالى ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ أي: وأثبت الجبال بترسيتها على الأرض، فجعلها راسية لا تتحرك. وفي إرسائها ما يتحقق به تَمَكُّن الناس من اعتلائها، واستخدامها، والانتفاع بها. مما يبين قوة التسخير، مع التنظيم والتجانس بين حاجة الإنسان وما سخره عَزَّ وجل لهذا الإنسان، والذي يؤكد به ويبين أن الله تعالى لا يُعجزه بعث العباد بعد الموت.

ثم يخبر الله تعالى عن علة وسبب هذا التسخير، فقال جَلَّ جله ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ أي: منفعة لكم ولأنعامكم من الإبل والبقر والأغنام وعموم أوجه الانتفاع التي لا تُحصى. بما يعني ويفيد أن هذا الخلق والتسخير هو من أجلكم أيها الناس، ومن أجل عموم أنعامكم التي تنتفعون بها ومنها. بما يستوجب عليكم شكر ربكم وحمده بطاعتكم له عَزَّ وجل، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم. وأن في هذا الإنعام إثبات وجوب حق الله تعالى عليكم بالطاعة والامتثال، والإيمان بالغيب، ومنه البعث والحساب والجزاء، والجنة والنار.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن
طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٩٦)

ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

بعد أن أظهر الله تعالى عظيم إنعامه بما تفضل به من التسخير الذي يستوجب من العباد شكره وطاعته سبحانه وتعالى، ينتقل بعد ذلك إلى التذكير بيوم القيامة، وشدة أهواله، فيقول عَزَّ وجل ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ فإذا وقعت الشدة والداهية العظمى، التي تطم على كل أمر، فتغمر ما سواها بعظيم هولها. وهي النفخة في الصور. قال القرطبي رحمه الله تعالى: وهي النفخة الثانية، التي يكون معها البعث، قاله ابن عباس[١] وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: والطامة: الحادثة، التي تطم على ما سواها. أي: تعلو فوقه[٢] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أنها من أسماء يوم القيامة، عَظَّمَهُ اللهُ وحَذَّرَه عباده[٣] مما يدل على عظيم هول ذلك اليوم. ومن دقائق البيان أن أورد الله تعالى بيانها بحرف المفاجأة ﴿ فَإِذَا ﴾ وبما يناسب حدوثها الذي يكون فجأة. وكذلك تسميتها ﴿ ٱلطَّآمَّةُ ﴾ التي تعلو فوق كل شيء، ثم المبالغة في قوتها، بوصفها بأنها ﴿ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ بما يزيد من هولها وقوتها.

ففي ذلك الوقت والحين يستعيد الإنسان ما أسلف وما كان منه من الأعمال في دنياه، فيقول الله تعالى ﴿ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ يوم يتذكر الإنسان ما كانه منه في الدنيا من خير وشر، الذي هو سعيه الذي سعاه في الدنيا. وقد أظهر الله تعالى هنا النار فقال جَلَّ شأنه ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ فَأُظهِرت الجحيم، التي هي جهنم، وهي تتلظى لمن يراها. ثم يذكر الله تعالى أهل النار الذين سيدخلونها. فقال عَزَّ وجل ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ فأما من طغى بإيثاره الدنيا على الآخرة، حتى أنه بالغ في الكفر إلى أقصى ما يكون من المعصية، وجمع مع ذلك الطغيان إيثاره الدنيا على الآخرة، حيث قال تعالى ﴿ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ وقدم الدنيا على الآخرة، بأن فضلها باستعجاله لها على الآخرة. وقد أفادت دلالة ﴿ وَءَاثَرَ ﴾ الاختيار منه بالتفضيل لها، نتيجة استعجاله لشهوات الباطل، والتي كان سببها الطغيان، ولذلك تقدم الطغيان على الإيثار، باعتباره

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٣٤)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٨/١٧٧)

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٩٧)

العلة والسبب. فهذا النوع يكون الجزاء لهم هو المكوث في الجحيم ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ فإن الجحيم هي المسكن والمآل الذي يؤول إليه. مما يفيد التحذير من الطغيان فإنه يقود إلى إيثار الباطل بأنواعه على الخير والصلاح. والتحذير من المآل والمصير لأهل الطغيان.

ثم ينتقل التوجيه الكريم، والموعظة الجليلة إلى بيان حال من آثر الآخرة على الدنيا، وهم أهل التقوى. فقال الله تعالى عنهم ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ وأما من اتصف في الحياة الدنيا بالخوف والمهابة من ﴿ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ الذي يقف فيه العباد للحساب والجزاء يوم القيامة ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ ومنع نفسه مما يستهويها ويثيرها من الباطل ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ فإن مصير هؤلاء وعودتهم كائنة إلى لجنة التي يأوون إليها، جزاء لما كان من طاعتهم لربهم عَزَّ وجل، ولزوم دينه الحنيف.

مما يبين أثر هوى النفس على الانحراف تجاه المعصية، مما يتطلب من الإنسان أن يكبح جماح نفسه عن المعصية، بالمجاهدة التي تحمل الممانعة عن الانحراف، خوفاً من أهوال المقام الذي سيقف فيه أمام الله تعالى يوم القيامة. كما يبين هذا التوجيه الكريم من الله العزيز الحكيم أن للنفس هواها، ويجب على العاقل ألا يتابعها في هواها، مخافة ورهبة من مقام ربه عَزَّ في علاه. ومما يبين أهمية مجاهدة النفس، وذلك بكفها عن طغيانها وهواها، حتى يفوز بالجنة ويجتنب العذاب المهين.

ثم يختم الله تعالى سورة النازعات بشأن موعد يوم القيامة، وما كان من سؤال المشركين عن موعده، من باب الاستهزاء والاستبعاد. فقال تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ يسألك أيها الرسول الكفرة من أهل الشرك ﴿ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ التي هي يوم القيامة، والتي يبعث الله تعالى فيها الموتى من قبورهم ﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ متى قيامها وظهورها. وفي تسميتها ﴿ ٱلسَّاعَةِ ﴾ ما يفيد سرعتها، وبغتتها، وتعني دلالة ﴿ أَيَّانَ ﴾ الزمن، أي: متى تكون. كما تعني دلالة ﴿ مُرْسَىٰهَا ﴾ حدوثها. أي: هو وقت إرسائها وإثبات وقوعها، فمتى يثبت وقوعها ويحين، فيأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بانتفاء علمه عنها. فقال تبارك وتعالى ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ فليس علمها إليك أيها الرسول صلى الله عليه وسلم، فما أنت من معرفتها على علم، فإن ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ أي: أن منتهى علمها مقصور ومحصور إلى الله تعالى. فليس لأحد علم بها غير الله عَزَّ في علاه. مما يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا بما يعلم، ولم يقل على الله تعالى بشيء من عنده أبداً، عليه الصلاة والسلام.

ثم يحصر الله تعالى مهمة رسوله عليه الصلاة والسلام في الإنذار من تلك الساعة، ومن ذلك اليوم الذي تقوم فيه القيامة، فقال جَلَّ جلاله ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾ فشأنك في هذا أيها الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على الإنذار لمن يخشى ذلك اليوم، وهو المؤمن بها. بما يفيد انتفاء النفع بعلمها على المنكرين لها، المكذبين بها، فإنهم لن ينتفعوا بالإنذار منها، لأنه لن ينتفع المنكر بما ينكره ويكفر به. فليس له أثر عليهم. مما يفيد بيان أثر الإيمان بالغيب على الخشية والاستقامة على طاعة الله تعالى، والامتثال لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم يخبر الله تعالى بحال المنكرين لها حين لحظة وقوعها. فقال جَلَّ شأنه ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴾ فإذا بعثهم الله تعالى من قبورهم إلى المحشر كانت مشاعرهم ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴾ ففي تلك اللحظة يستقصرون زمن ومدة الحياة الدنيا، وما كان من زمن لبثهم في قبورهم، فيرون ذلك الزمن ما هو ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴾ والعشية هو الزمن الذي ما بين الظهر إلى غروب الشمس. ﴿أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴾ وهو الزمن الذي ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار. بما يعادل ربع اليوم فقط. مما يبين قِصَر الحياة الدنيا، ودليل ذلك أنه كلما انطوى زمن من مراحل عمر الإنسان وهو في الدنيا شعر بأنه لم يلبث في تلك المرحلة السابقة إلا قليلاً من الزمن. مما يبين أهمية استغلال زمن الدنيا القصير للآخرة الأبدي، الذي لا ينقطع ولا يزول. وفي هذا موعظة عظيمة من الله تعالى لعباده، تبين رحمته بعباده، إذ ينذرهم ويحذرهم مما هم قادمون إليه. فلا يحذر من الشر إلا من اتصف بالرحمة والشفقة. وليس هناك أرحم من الله تعالى، الذي أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ووعظ وحذر عباده. فالحمد لله على عظيم إحسانه ورحمته، وامتنانه.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة النازعات. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.